(سورة القمر)

{ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ }

{ وَإِن يَرَوْاْ آيَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ }

{ وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُواْ أَهْوَآءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ }

{ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلأَنبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ }

{ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ } { فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ }

{ خُشَّعاً أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ }

{ اقْتربت الساعة وانْشقَّ القمر } إنما كان انشقاق القمر آية قرب القيامة الكبرى، لأن القمر إشارة إلى القلب لكونه ذا وجهين: وجه مظلم يلي النفس، وآخر منوّر يلي الروح، ولاستفادته النور من الروح كاستفادة القمر النور من الشمس وانفلاقه بتأثير نور الروح فيه وظهور شمسه من مغربها أي: بروزها من حجاب القلب بعد كونها فيه علامة قرب الفناء في الوحدة لكونه مقام المشاهدة المؤدية إلى الشهود الذاتي وإن حملت على دور الظهور الذي هو زمان المهدي المبعوث في نسمها. فانشقاق القمر انفلاقه عن ظهور محمد عليه السلام لظهوره في دور القمر وإن حملت على الصغرى فالقمر هو البدن لاستفادته نور الشعور والحياة من شمس الروح وظلمته في نفسه ويقويه قوله: { يوم يدع الداع } أي: يظهر مقتضى الموت ويدعو موجبه إلى شيء منكر فظيع تكرهه النفوس{ خشعاً أبصارهم } من الذلّة والعجز والمسكنة والحرمان { يخرجون } من أجداث الأبدان { كأنهم جراد منتشر } شبهها بالجراد لكثرة النفوس المفارقة وذلتها وضعفها وحرصها وتهالكها على حضرة الذات الحسية والشهوات الطبيعية وميلها إلى الجهة السفلية كما شبهها بالفراش لتهالكها إلى نور الحياة. وعلى الأول يوم يدعو داعي الروح والقلب النفوس إلى شيء منكر عندها من ترك الحظوظ العاجلة واللذات البدنية والحسيّة الذي هو الموت الإرادي بالرياضة ومشايعة السرّ في التوجه إلى جناب الحق { خشعاً أبصارهم } ، ذليلة منكسرة لقهر الداعي لها واستيلائه عليها يخرجون من أجداث الأبدان بالتجرد والانخلاع عنها كأنهم جراد لضعفها وطيرانها في شعاع نور شمس الروح.

{ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَافِرُونَ هَـٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ }
{ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُواْ عَبْدَنَا وَقَالُواْ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ }
{ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ }{ فَفَتَحْنَآ أَبْوَابَ ٱلسَّمَآءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ }
{ وَفَجَّرْنَا ٱلأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ }
{ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ }{ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ }
* { وَلَقَدْ تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ } { فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ }
{ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ }
{ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ }
{ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ }
{ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ } { فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ }
{ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ }

{ مهطعين إلى الداع } على كلا التأويلين لانقيادها طوعاً وكرهاً { يقول الكافرون }
أي: المحجبون عن الدين أو الحق { هذا يوم عسر } لنزوعهم إلى اللذات والشهوات الحسيّة وشوقهم إليها وضراوتهم بها، فأما غير المحجوب فأيسر شيء عليه الموت الطبيعي والإرادي جميعاً{ ففتحنا أبواب } سماء العقل بعلم منصب إلى العالم السفلي بقوة، أي: نكسنا عقولهم بالميل إلى الدنيا والاشتغال بتدابير الأمور الجزئية وترتيب اللذات الحسية والانهماك في أمر المعاش وصرف عملها فيه ووقوفها معها واحتجابها بها عن الأمور الأخروية المؤدّي إلى هلاكهم، فهو كقوله:

{ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا }

[الإسراء، الآية:١٦] { وفجرنا } أرض النفس { عيوناً } علوماً جزئية حسيّة متعلقة بكسب الحطام وجمعه والتلذذ به والترّفه فيه كأن نفوسهم كلها ذلك التدبير لشدة انجذابها إليها وحرصها فيها { فالتقى } العلمان في طلب الدنيا وجذبها { على أمر } قد قدّره الله تعالى وهو: إهلاكهم بسبب التورط في الشهوات بالجهل. وحملنا نوحاً على شريعة ذات أعمال وعلوم ترتبط بها الأعمال أو أحكام ومعاقد

تستند إليها الأحكام { تجري بأعيننا } أي: تنفذ على حفظ منا في لجة جهلهم الغالب الغامر إياهم، فلا يغلبها جهلهم فيبطلها { جزاء } لنوح عليه السلام الذي كان نعمة مكفورة من قومه بأن لم يعرفوه فيطيعوه ويعظموه فينجوا به، بل أنكروه فعصوه فهلكوا بسببه{ ولقد تركناها } أي: آثار تلك الشريعة والدعوة إلى يومنا هذا { آية } بينة لمن يعتبر بها { فهل من } متعظ، فإنّ طريق الحق واحد والأنبياء كلهم متوافقون في أصول الشرائع.

{ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ }

{ فَقَالُوٓاْ أَبَشَراً مِّنَّا وَاحِداً نَّتَّبِعُهُ إِنَّآ إِذاً لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ }

{ أَءُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ }

{ سَيَعْلَمُونَ غَداً مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلأَشِرُ }

{ إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ }

{ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ }

{ فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ }

{ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ }

{ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ }

{ وَلَقَد يَسَّرْنَا ٱلْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ } { كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِٱلنُّذُرِ }

{ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِباً إِلاَّ آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ }

{ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ }

{ وَلَقَدْ أَنذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْاْ بِٱلنُّذُرِ }

{ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ }

{ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ }

{ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ }

{ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ }

{ وَلَقَدْ جَآءَ آلَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ }
{ كَذَّبُواْ بِئَايَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عِزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ }
{ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِي ٱلزُّبُرِ }
{ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ }
{ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ }
{ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ }
{ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ }
{ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ }

{ فكيف كان عذابي } لقومه بإهلاكهم في ورطة الجهل وحرمان الحياة الحقيقية واللذة السرمدية وإنذاري على لسان نوح عليه السلام.

ووجه آخر وهو: تأوّل فتح السماء بإنزال الرحمة والوحي على نوح، أي: فتحنا أبواب سماء روح نوح بعلم كلي منصب بقوّة شاملة لجميع الجزئيات وفجرنا أرض نفسه عيوناً، أي: علوماً جزئية، كأن نفسه كلها علوم، فالتقى العلمان بانضمامها فصارت قياسات وآراء صحيحة بنى عليها شريعته المؤسسة على العمليات والنظريات، فحملناه عليها بالعمل بها والاستقامة فيها فنجا فيها وبقي قومه في ورطة الجهل، فغرقوا في تيار بحر الهيولى وأموال الجهالات وهلكوا .

{ إنّا مرسلو } ناقة نفسه ابتلاء { لهم } ليتميز المستعدّ القابل السعيد، من الجاهل المنكر الشقي { فارْتقبهم } لتنظر نجاة الأول وهلاك الثاني { واصْطَبر } على دعوتهم{ ونبِّئهم أنّ } ماء العلم{ قسمة بينهم } لها علم الروح الفائض عليها ولهم علم النفس، أي: لها المعقولات ولهم المحسوسات { كل شرب محتضر } هي تحضر شربها بالتوجه إلى الروح وقبول العلوم الحقيقية والنافعة منها وهم يحضرون شربهم بالأوي إلى منبع الخيال والوهم، وتلقي الوهميات والخياليات منه.

{ بل الساعة موعدهم } أي: القيامة الصغرى ووقوعهم في العذاب الأبدي بزوال الاستعداد وقلب الوجود إلى أسفل، وهي أشدّ وأمرّ من عذاب القتل والهزيمة.

{ إنّ المجرمين } الذين أجرموا بكسب الهيئات المظلمة الرديئة الجسمانية
{ في ضلال } عن طريق الحق لعمى قلوبهم بظلمة صفات نفوسهم{ وسعر } أي: جنون وولـه لاحتجاب عقولهم عن نور الحق بشوائب الوهم وحيرتها في الباطل { يوم يسحبون في النار على وجوههم } بحشرها في صور وجوهها إلى الأرض وتسخيرها في قهر الملكوت الأرضية فيقهرها في أنواع العذاب ويعذبها بنيران الحرمان يقال لهم: { ذوقوا مسّ سقر }.

{ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ }
{ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ }
{ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ }
{ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ }
{ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ }
{ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ }
{ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ }

{ وما أمرنا إلا } كلمة { واحدة } أي: تعلق المشيئة الأزلية الموجبة لوجود كل شيء في زمان معين على وجه معلوم ثابت في لوح القدرية المسمى في الشرع: كن، فيجب وجوده في ذلك الزمان على ذلك الوجه دفعه { في الزبر } أي: ألواح النفوس.
{ إنّ المتّقين } على الإطلاق { في جنات } من مراتب الجنان الثلاث عالية رفيعة { ونهر } علوم مرتبة بحسب مراتب الجنان المذكورة { في مقعد صدق }
أي: خير وأي خير هو مقام الوحدة { عند مليك } في حضرة الأسماء حال البقاء بعد الفناء ومقام الفرق بين الذات والصفات كائنين بالذات { في مقعد صدق } وبالصفات { عند مليك } مدبر مملكة الوجود على حسب الحكمة ومقتضى العناية على أحسن وجه وأتمّ نظام { مقتدر } يقدر على تصريف جميع ما في ملكه على حكم مشيئته وتسخيره على مقتضى إرادته لا يمتنع عليه شيء.